مفهوم القيم الفلســــــــــفية

أ . رمضان محمد التوفيق الشتيوي ـ قسم الفلسفة ـ كلية الآداب الأصابعة ـ جامعة غريان

البريد الإلكتروني: rmadan twfeg5@gmail.com

Summary

Philosophical values are what connects the world and man . It is not enough to define the meaning of values, what values are, or their meaning only, but we must know and realize their importance in our lives.

The difference of values, whatever the boundaries that separate them, it is our duty to seek to reconcile and bring them closer, and the difference must be in mental, cognitive or practical activity .Although researchers differ in understanding the nature of the values of truth, goodness, or beauty, and have developed criteria that can be used to distinguish between them, for example, the value of the right to distinguish between it and falsehood, the measure of truth is that clarity . The people who rise above everything as well as seek the measure of good that artificially articulates between him and evil.

The whole point.

Through this research, it has been shown that values are a fundamental pillar in human life and the ambiguity and imperfection caused by some currents that have made Values an end in themselves and not a means to higher values must be removed, because without values, human society loses the origins, laws and principles that regulate its life.

الملخـــــص:

إنّ القيم الفلسفية هي ما يصـــل بين العالم والإنسان؛ إذ لا يكفي أن نحدد معنى القيم أو ماهية القيم أو معناها فقط وإنما يجب علينا أن نعرف وندرك أهميتها في حياتنا.

إن اختلاف القيم مهما كانت الحدود التي تفصل بينها فمن واجبنا أن نسـعى إلى التوفيق والتقريب بينها وإن الاختلاف يجب أن يكون في النشاط العقلي أو المعرفي أو العملي. فمع اختلاف الباحثين في فهم طبيعة قيم الحق أو الخير أو الجمال ووضعهم مقاييس التي يمكن من خلال استخدامها التمييز بينها، فمثلا قيمة الحق في التميز بينها وبين الباطل فإن مقياس الحق هو ذلك الوضوح. الذي يرتفع فوق كل شيء وكذلك البحث مقياس الخير الذي يصطنع في التعبير بينه وبين الشر مجمل القول.

إن من خلال هذا البحث تبين أن القيم تعتبر ركنا أساسياً في حياة الإنسان ويجب إزالة

الغموض والنقص الذي ألحقته بعض التيارات التي جعلت القيم غاية في حد ذاتها وليست وسيلة لقيم أعلى منها، إذ بدون القيم يفقد المجتمع الإنساني الأصول والقوانين والمبادئ التي تنظم حياته.

المقدمة:

يعتبر مبحث القيم من مباحث الفلسفة الرئيسية، انطلاقاً من أن الإنسان كائن أخلاقي فلازمت المشكلة الأخلاقية وجود الإنسان عبر التاريخ، وعليه فإن هذا البحث سوف يضم مذاهب الفلاسفة في صنوف القيم وطبيعتها ومقاييسها ومنزلتها من الفلسفة.

فالقيم صنفان: صنف يلتمس لذاته ويطلب كغاية، ويكون مطلقا لا يحدده زمان ولا مكان، وصنف نسبي ينشده الناس كوسيلة لتحقيق غايته ولهذا يختلف باختلاف حاجات الناس ومطالبهم، فجمال الزهرة يقوم لذاتها فالصنف الأول يطلق عليه القيم الباطنية الذاتية والصنف الثاني يسمي بالقيم الخارجية.

وتناول البحث - أيضا - مبحث الجمال للمشكلات التي أثارت الخلاف بين الباحثين وهي طبيعة الجمال وماهيته وتقويم الجمال والمقاييس التي تصطنع في التمييز بين الجمال والقبح فطبيعة الجمال كانت بسبب الخلاف بين الباحثين فان للجمال وجود موضوعاتها. فالشيء الجميل يقوم بالقياس إلى ما فيه من خصائص تثير الإعجاب بجماله بل يمكننا القول بإن الأحكام الجمالية موضوعية وليست ذاتية فيقول بعض الفلاسفة إن تصور الجمال يتغير من عصر إلى آخر ومن جنس إلى جنس ، وقد وجد بعض الباحثين بين الحق والخير فوصفوا علم الأخلاق بأنه منطق السلوك وأيضاً وحدوا بين الحق والجمال فقالوا منذ أكثر من ثلاثة وعشرون قرنا أن الفنون وظيفتها أن تحاكي الطبيعة وأكد هذا أفلاطون ووحدوا بين الجمال والخير وامتزجت فلسفة الجمال عند اليونانيين و فلاسفة الأخلاق فذهبوا إلى القول بان الأخلاق هي جمال العادات وقد ظهر الشعور بالجمال مقترن بالحكم الخلقي.

تتضمن المقدمة التعريف بالبحث وإعطاء موجز عن البحث مع الاشارة الي أهمية البحث وكذلك الإشكالية والتي تم فيها طرح عدة تساؤلات تم الإجابة عليها في البحث وكذلك ذكر أهداف البحث وما يتركز عليه من أفكار وتم توضيح المنهج لهذا البحث.

إشكالية الدراسة:

اختلف الباحثون في فهمهم لطبيعة الحق وتصورهم للمقاييس التي يمكن استخدامها في التمييز بينه وبين الباطل فتحتل مشكلة الحق مكان الصدارة في تاريخ الفلسفة النظرية فمقياس الحق هو الوضوح الذى يرتفع فوق كل شك وكان البحث في الخير

والمقاييس التي تصطنع في التعبير بينه وبين الشر مكانة ملحوظة في التفكير البشري منذ أقدم العصور وظهرت الخلافات بين الباحثين في تصورهم لطبيعة الخير ومقاييسه ومن هذا المنطلق يمكن طرح السؤال الرئيسي التالي :

ما مفهوم القيم الفلسفية؟

تساؤلات البحث:

ومن السؤال الرئيسي السابق تنبثق الأسئلة التالية:

1- ما معني القيم؟ وما طبيعتها؟

2- هل القيم هي ركن أساسي في حياة الناس؟

3- ما علاقة القيم ببعضها البعض؟

أهداف الدراسة:

يهدف هذا البحث إلى تطوير الفكر عن طريق تطبيق فكرة القيم الأخلاقية في مجالات عديدة فالقيم تحل مكان الصدارة في هداية السلوك فنظم أساليب الحياة وآليات التفكير الصحيح فتصبح معيارا تتحكم به فيما تقترح من خطط للعمل ومن خلال دراستي الي القيم الاخلاقية سأحاول الخروج بموقف الإنسان الذكي من عالم يموج بالتغيير والصراع بكثير من الشرور، والذي يعطي الانسان الامل في إمكانية التقدم وإزالة عقبات لا يمكن تخطيها إلا بالرجوع إلى الواقع.

أهمية الدراسة:

تمكن أهمية الدراسة في فصل النزاعات الميتافيزيقية ورد كل الاحتكار إلى محك الواقع والدور الذي تلعبه القيم الاخلاقية في حياة الإنسان، وفى هذا البحث محاولة لإزالة كل الغموض الذي تخلقه بعض التيارات الفلسفية الغير أخلاقي فالقيم تعتبر ثمرة التفاعل بين الكائن ومحيطه تتجلى فيها كل معاني الوحدة والانسجام.

منهج البحث:

اعتمد في هذا البحث على المنهج التحليلي الوصفي؛ لأن طبيعة الموضوع تقتضي الاستعانة بهذا المنهج الذي سوف يساعدنا على دراسة القيم الفلسفية والتطور التاريخي لكل القيم الأخلاقية ومدى أهميتها في حياة الإنسان. وينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسية على النحو التالي:

المبحث الأول ـ القـــيم وطبيعتها وأصنافها

أولاً- معنـــى القيمة: تدل كلمة قيمة من الناحية " اللغوية " على الاعتدال، والاستواء

وبلوغ الغاية فهي مشتقة أصلا من الفعل قام واعتدال بلغ واستوى، وهي تعتبر أيضاً القيمة إلى الثمن وقدرة قيمة المتاع. (الطويل -1960-ص60)، وتستعمل كلمة قيمة في علم الاقتصاد فهناك قيمة استعماليه وقيمة تبادل، وثم التمييز بين القيمة والسعر على أساس قيمة الشيء حقيقة ومنها:

- يتحقق في الهدف الذي نسعى إلى تحقيقه فإذا كان هدفنا السعادة فالسعادة تعتبر قيمة.
- ويتحقق في الفعل الذي نمارسه فإذا كان فعلنا خيرا كان الخير قيمة.
- ويتحقق في الإحساس نحو ما يحيط بنا من أشياء فإذا أحسسنا بالجمال في شيء ما كان الجمال قيمة.
- وتعرف القيمة عند " سارتر" بأنها: العوائم.

ويقول لوس بأن القيمة هي ما هو جديد بأن يطلب وبالتالي فإن القيمة ليست مجرد ما يرغب فيه وكأنها ما هو جديد بأنه يرغب فيه؟ وقد استخدام الفلاسفة المفكرون كلمات قرناً بمعنى القيمة أو كلمة القيمة وهي "الخير" والخير الاسم والكمال والمثل الأعلى، فإن الخير تدل على الدلالة الأخلاقية التي تدل على القيمة، وقد رأى أفلاطون إن الخير الأسمى وهو الوجود الكمال (الطويل مرجع سابق ص63)، وهذا يعني أن الإنسان لا يتخذ موقف سلبياً من الأشياء المحيطة به بل يحكم عليها بما تثيره من لذة أو ألم من جمال أو قبح .... الخ.

طبيعة القيم: ما هدفك في الحياة؟ إذا طرحنا هذا السؤال على الطالب ومزارع وطبيب فماذا ستكون إجابة كل منهم؟ فتكون الإجابة لكل حسب هدفه وعمله.

-الطالب: هدفي في الحياة هو النجاح ثم البحث عن عمل لخدمة الوطن حتى أشعر بالسعادة.

-المزارع: هدفي في الحياة زيادة الإنتاج لخدمة وطني حتى أشعر بالسعادة، وهذ الإجابات اختلاف في القيم. الأولي التي ينشدها كل من الطالب (النجاح، البحث عن عمل، خدمة الوطن) والمزارع (زيادة الإنتاج، خدمة الوطن) والطبيب، (العلاج، خدمة الوطن) (الطويل-مرجع سابق ص64)

اتفاقا في القيمة الأخيرة التي ينشدها كل منهم وهي السعادة غاية أخيرة للإنسان في الحياة.

أصناف القيم: وقد قسم الفلاسفة القيم إلى صنفين:

قيم باطنية ذاتيـــــة: وهي القيم التي تطلب لذاتها وهي غاية في ذاتها ليست وسيلة لقيمه أعلى منها وهي قيم مطلقة لا يحدها زمان ولا مكان وهي ثابتة لا تختلف في

الزمان ولا في المكان ولا حسب الأحوال ومن أمثلتها قيم الخير والجمال والحق. (الطويل مرجع سابق ص66)

قيم خارجيـــــة: وهي وسائل لتحقيق قيم أعلى منها وهي قيم نسبية متغيرة في الزمان والمكان وحسب الأحوال ومن أمثلتها قيم المعرفة، الصحة، الثروة، الزواج، وقد قسم الفلاسفة القيم العليا التي يطلبها الإنسان لذاتها إلى ثلاث قيم هي: (الطويل-1990-ص381)

الخير والجمال والحق:

1-علم الأخلاق: يدرس قيمة الخير أي دراسة ما ينبغي أن يكون عليه الفعل الخير.

2-علم الجمال: يدرس قيمة الجمال أي دراسة ما ينبغي أن يكون عليه الشيء الجميل.

3-علم المنطق: يدرس قيمة الحق أي دراسة ما ينبغي أن يكون عليه التفكير السليم.

كما أنها يطلق عليها اسم القيم العقلية وهي المتعلقة بالحق كقيمة البرهان.

علاقة أحدهما بالأخرى: إن اختلاف الباحثين في توحيد القيم وتكثرها أن نقدم لعالم القيم بكلمة تفسر العلاقة التي تربط القيم الثلاث إحداهما بالأخرى.

العلاقة بين قيمة الخير وقيمة الحق: وحد بعض الباحثين العلاقة بين الحق والخير فوصفوا علم الأخلاق بأنه منطق السلوك لأنه يدرس شروط تناسق السلوك مع المثل الأعلى كما يدرس علم المنطق تناسق الفكر مع مستوياته" "والمثل الأعلى" يستخدم للدلالة على عدة معاني متباينة منها التعبير عن شيء يتعذر تحققه أو يكون وهميا مقابلا للموجود بالفعل. آثر بعض المفكرين أن يربطوا بينه وبين المثال المنطقي ؛ لأن المثل الأعلى للتفكير السليم ليس شيئاً خياليا بل هو شيء يتحقق في كل وقت نزاول فيه التفكير (إذ التفكير الخاطئ لا يعتبر قط تفكيرا)، ومثل هذا يقال في المثال الأخلاقي لأنه يتحقق في كل وقت نتصرف فيه تصرفات صحيحة ، ولم يرق التوحيد بين الحق والخير عند بعض الباحثين وأيسر ما قيل في إدحاضه أن التسليم به يفضي إلى الاستغناء بأحد اللفظين عن الآخر وعندئذ يجوز لنا أن نقول إن من "الخير" أن يقال إن الكل أكبر من جزئه وأن 2 + 2=4 أو غير هذا من حقائق وواضح أن هذا رأي لا يساغ ولهذا ميز الكثيرون بين الخير والحق ومنهم من قدم أحدهما على الآخر كما فعل أتباع المذهب الفزتشسكاني، ومن أمثال ذنرسكوت 1308، فالخير يكون حقا عند الفلاسفة وقد يكون باطلا في نظر الإيمان والخير مقدم على الحق لأن الخير من وضع الله وإلى مثل هذا المذهب أهل السلف في الإسلام .

العلاقة بين قيمة الحــق وقيمة الجمال: (الطويل -1 990-ص385) اتجه بعض

الباحثين إلى التوحيد بين الحق والجمال فمنذ أكثر من ثلاثة وعشرين قرنا قد كانت الفنون والمتعلقة بالشعر والنقش ونحت وتصوير، وظيفتها أن تحاكي الطبيعة وأكد أفلاطون بأنه يكون للفن قيمة في ذاته لأنه تقليد أشياء طبيعية تحاكي مثلها ومن ثم كان في ثالث مرتبة والشعر عند أرسطو مرجعة إلى أمور منها غزيرة التقليد في الإنسان.

العلاقة بين الجمال والخـــــير: وإلى جانب هذا الاتجاه وحد بعض الباحثين بين الجمال والخير وهذا أشيع من الاتجاه السالف وأقدم لأن دراسة الخير وثيقة الاتصال بدراسة الجمال إلى حد جعل اليونان يستخدمون لفظا واحدا للتعبير عن الجمال والنسل الخلقي ويوحدون بين الكمال والجمال وجعل بعض المحدثين يضيفون الجمال إلى النفس والحياة ونحوها وإن كانت هذه التعبيرات تشير إلى التقوى الدينية أكثر مما تشير إلى الكمال الخلقي المحض.

وقد امتزجت عند اليونان فلسفة الجمال بفلسفة الأخلاق فاعتبر الرواقية الجميل هو وحده الكامل في عرف الأخلاق هذا الرأي عند بعض المحدثين فألف الفيلسوف هربارت (1844) مؤسس علم الجمال، في التوحيد بين الخيرية والجمال يشهد بهذا كتابه في علم التربية ويقال رسكن الذوق ليس جزءا من الأخلاق وظهور الشعور بالجمال مقترنا بالحكم الخلقي عند المدرسة المعروفة في القرن السابع عشر بأفلاطون كمبردج ولاسيما عند هنري مور وعن موقف هؤلاء من الأخلاقية نشأ مذهب الحاسة الخلقية الذى ربط دعاته بين الخيرية والجمال فرأي شافتيسبري (1713) أن جوهر الأخلاقية قائم في الانسجام بين وجدانيات الفرد ومطالب المجتمع أي في جمال التناسب والتناسق بين هذه الوجدانيات والخلو من الميول التي لا تهدف إلى غرض معين وأنكر كما صوره الكتاب المقدس وفصل بين الأخلاقية والجزاءات في شتى صورها من دينية واجتماعية وغيرها بإن إغراء المسيحية بإتباع السلوك الخير أملا في نعيم الجنة المقيم أو خوفا من عذاب النار الأليم مفسدة للأخلاق وحسب الإنسان باعثا على فعل الخير جمال الفصيلة في ذاته عند وضع القانون الخلقي.

المبحث الثانـــــي ـ قيمة الحـــــق والخير:

طبيعة الحـــــق: تحتل مشكلة الحق مكان الصدارة في تاريخ الفلسفة النظرية فالفيلسوف يبدأ تفكيره الفلسفي بالاستفسار عن طبيعة الحق والبحث عن معيار يطمئن إليه في التمييز بين الحق والباطل وقد شغل البحث في هذه المشكلة فلاسفة اليونان من قديم الزمان فمنهم من أنكر الحس وأقر العقل مقياساً ومنهم من أنكر اليقين في العلم ووقف عند الاحتمال ورفض القول بوجود حق مطلق أو معرفة شيء في ذاته

...ومنهم من قنع بالتوقف عن إصدار أحكام واكتفى بإعلان لا أدريته...

واستمر الجدل في طبيعة الحق ومقاييسه ، قائما أبان العصور الحديثة حتى تلقته الفلسفة الحديثة وزادته عنفاً وبدأ النزاع بشان الحق ومقاييسه في القرن السابع والثامن عشر بين العقلين والتجربتين حتى تحقق من حدثه " كانط " بمذهبه النقدي الذي جمع بين العقل والتجربة مصدراً الحقيقة ولبثت مشكلة الحق تحتل مكان الصدارة في فلسفة القرن الماضي والقرن الحاضر على السواء وتجلى النزاع (عبدالمعطي-2002-ص361-362) بشأنها بين إتباع المذهب الصوري المحض أو إشباع النزعة المنطقية وبين الوضعين عامة واتباع المذهب العملي " البرجماتي " بوجه خاص.

كان الرياضيون وأهل المنطق الصوري على خلاف ملحوظ مع دعاة المذهب العملي في تصور الحق وفهم طبيعته فاعتقد الفريق الأول أن هناك حقاً مطلقاً يقوم مستقلاً من تجارب الإنسان ويكون حقاً موضوعياً الموجودات مستقلة عن وجود عقل يدركها أو عدم وجوده ومن مؤيدي هذا المذهب " برناربو لزانو" (1948). (منصور-2001-ص322)، الذي يجهر بأن الحـقّ بالذات يظل كذلك مع كل الحالات إذا قلت إن من المتخذ أن يعرف الإنسان عدد الأزهار التي أثمرتها في الربيع الماضي شجرة معينة تقوم في مكان معين فإن هذا لا ينهض دليلاً على أن الأزهار لم توجد بعد لمجرد أن معرفة عددها لا يشير الإنســان، وقريب من هذا يمكن أن يقال في وجود المطلق أو الحق في ذاته أنه يقوم مستقلاً عن كل عقل يمكن أن يدركه.

لكن هذا المذهب الصوري في فهم الحق ناهض المذهب العملي وغيره من مذاهب الوضعيين (كالوضعية المنطقية)، وقد أفسحت المجلات الأمريكية والبريطانية صفحاتها منذ مطلع القرن العشرين للبحث في المذهب العملي إتباعاً ونفياً وأثار هذا المذهب جدلاً عنيفاً في مؤتمر كان هذا المذهب كغيره من مذاهب (الطبيعيين الوضعيين) ينكر وجود حتى يمكن أن يكون مطلقاً لا بتقيد بزمان ولا مكان. (منصور-2007-ص322)

مقاييس الحق : اختلف الباحثون في فهمهم لطبيعة الحق وتصورهم لمقاييسه التي يمكن استخدمها بينه وبين الباطل كلا حسب رأيه ونظرته فالباحثون على خلاف في تصورهم ، للمعيار الذي يمكن استخدامه في التمييز بين الباطل واظهر المقاييس التي عرفت في هذا الصدد كثيرة منها مقياس تطابق الذي قال به أرسطو ومن تابعه من الفلاسفة ويراد به مطابقة الحكم للموضوع الخارجي ثم مقياس الاتساق أو عدم التناقض الذي يقول به المثاليون ويراد به أن يكون الحكم مترابطاً مع مجموع الأحكام

المعروفة ثم مقياس الوضوح عند أصحاب نظرية الواضح بذاته فالأحكام الصادقة عندهم هي التي تحمل الشاهد على صدقها حتى يستحيل أن تكون مثارا للشك ثم مقياس النفع في الحياة العملية عند أصحاب الفلسفة العملية في أمريكا ومقياس إمكان التحقق من مضمون العبارات بالرجوع إلى الخبرة الحسية ويقول به أتباع الوضعية المنطقية المعاصرة ٠

علم المنطـــــق: يعتبر " أرسطو" أول من وضع المنطق بالصورة التي عرف بها الفكر البشري فيما بعد حتى يقال عنه في كثير من الأحيان (المنطق الأرسطي) أو(المنطق الصوري) نسبة إلى أهمية القوة دون المادة ، صحيح أننا نجد شذرات متفرقات عن أسس المنطق وأصوله عند الفلسفة قبل " أرسطو" نفسه ولكن أرسطو هو في النهاية الفيلسوف الذي ، صاغ المنطق علماً مستقلاً له قوانينه ومبادئه الخاصة وحدد وظيفته ومكانه ٠ ولكل علم من العلوم المختلفة موضوع خاص يقوم بدراسته بقصد الوقوف على القوانين تحكم هذا الموضوع، موضوع علم المنطق هو التفكير البشري فالإنسان دائم التفكير وهذه الخاصية تميزه عن بقية الموجودات الأخرى، ولكن الإنسان عرضه للموضوع في الخطأ أثناء تفكيره بسبب عوامل مختلفة ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى قيام علم يدرس التفكير البشري " الخاطئ منه والصحيح " ثم يضع لنا في النهاية مجموعة من القواعد والقوانين التي تحكم عملية التفكير بحيث إذا ألتزم بها المرء جاء تفكير سليماً خالياً من الخطأ. (الغزالي-1981-ص85-87)

قد يقل : لقد ذهب بعض الناس المقدرة على التفكير السليم دون تعلم فقد نلتقي أمياً لكنه لا يخطئ في ترتيب أفكار وتسلسل استنتاجاته فبالرغم من أنه لم يتلقى علما بالمدارس فإنه يكون سديد التفكير ولا عجب في ذلك فقد كان العرب القدماء ينطقون الشعر دون دراسة لأوزان الشعر أو قواعد النحو وهم مبدعون بفطرتهم الصافية وقريحتهم السليمة دون تعلم وذلك كله صحيح لكن ماذا يحدث إذا ما أختلف الناس في أمر من الأمور المتعلقة بالاستدلال أو الاستنتاج ؟

كيف يمكن حسم الخلاف بينهم إن لم تكن هناك قواعد وقوانين تنظم هذه العملية .....؟ ومن هنا صارت الحاجة الماسة إلى وضع قوانين المنطق كما جاءت الحاجة ماسة إلى وضع معيار متفق عليه من الجميع ومن هنا اهتم فلاسفة اليونان قديماً ومن بعدهم فلاسفة الإسلام.

وظيفة المنطـــق: وظيفة المنطق وضع قوانين يسير بمقتضاها التفكير السليم، لأن مراعاتها تعصم العقل من الوقوع في الزلل، وهو يبحث في التفكير من ناحية صوابه وخطئه، أو صحته وفساده وبعينه من التفكير صورته دون مادته ومن هنا كانت قوانينه عامة مطلقة لا تتصل بموضوع معين من موضوعات المعرفة بل يتناول شكل الأحكام وصورة التفكير بشكل عام وغايتها تتناسق مع التفكير نفسه وليس مطابقة لنتائج الواقع. (الطويل -1990-ص407)

قيمة الخير:

أولاً ـ تعريف الخير في اللغة وفي الاصطلاح:

الخير في اللغة ضد الشر قال ـ تعالى:(**وَمَا تُقَدِمُوا لِأَنفُسِكُم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْراً**) المزمل الآية "20" ، وخيره ، أي : فضله ، ورجل خير وهو اسم تفضيل كقوله : الصلاة خير من النوم ، وهو يدل على حسن ذاته وعلي ما فيه نفع وسعادة وفي اللغة الإنجليزية **(Good)** والفرنسية **(Bien)** ويعرف ابن سينا : بأنه ما يشوفه كل شيء ويتم به وجوده الموجـــود الذي هو دائم بالعقل ، فهو خير فصيح ويقول ابن " مسكوبة " الخيرات منها تشـــريعه من ذاتها وتجعل من اقتنائها شرف وهي الحكمة والعقل.

طبيعة الخيرية ومقاييسها: عرف تاريخ التفكير الأخلاقي في فهم الخيرية وتحديد مقياسها اتجاهين متباينين وتتمثل أولهما في نظرية الحدسين " من المثالين " ، ويبدو ثانيها في نظرية الغائبين ومنهم التجريبيون من الأخلاقيين، فأما الحدسيون فيرون أن الخيرية تخضع لقوانين عامة ومبادئ مطلقة لا يحدها زمان ولا مكان أما التجريبيون من الغائبين فيعكسون إليه الاتجاه الحدسي. يقولون الخير والشر والحق والباطل مجرد أفكار واصطلح عليها الناس في ضوء التجارب التي يعيشونها. ومع هؤلاء غائيون أخرون يقولون بالخير الأقصى وهو مقصد الناس في كل زمان ومكان ويراد به السعادة فيما قال" أرسطو" قديماً.

مفهوم الخير في الفكر اليوناني: بدأت إحدى المراحل الأولى للتفكير الفلسفي اليوناني بمجموعة من المفكرين لهم القدرة على الحديث والجدل وهم (السفسطائيون) فكانت نظرتهم في القيم الأخلاقية نسبة تتغير بتغير الزمان والمكان وتختلف باختلاف الظروف والأحوال.

مفهوم الخير عند أرســـطو : غاية الأخلاق عن " أرسطو" تحقيق الخير فهو الذي يتشوقه الكل وهو الغاية التي ترغب في تحقيقها كل الفضائل فالخير الاسمى هو الذي

يسعى إليه الجميع سواء كان على مستوى الفرد أو المجتمع وتتحقق بالمعرفة والابتعاد عن الذات والشهوات ويقول " أرســـطو" في كتاب (علم الأخلاق تيتاماخوس) كل الفنون وكل الأبحاث العقلية وجميع أفعالنا وجميع مقاصدنا الأخلاقية يظهران غرضها شيء من الخير ترغب في بلوغه وأن "أرسطو" جعل مفهوم الخير وهو غاية أفعالنا جزء من علم السياسة سواء كان على مستوى الفرد أو المجتمع فقد ارتقى بعلم السياسة فوق مفهوم الخير. (جحيدر-1990-ص147)

مفهوم الخير عند أفلاطـــون : إشكالية الانسجام بين قوى النفس عند أفلاطون لها غاية ، فيحدد لنا أفلاطون الغاية الأولى من هذه الإشكالية وهي توقعية، أي : أنها خطوة مرحليه تمثل حالة الانسجام بين جميع القوى في الشخصية الإنسانية ، والغاية الثانية هي محاولة الوصول للبعد الحقيقي في نتيجة هذا الصراع الدائم بين قوى النفس " ويلاحظ في فلسفة أفلاطون أنها تنصب على عالم الوجود كله، غير أن فكرة الخير تعتبر من الأسس القائمة عليها فلسفته حيث يقول: إن أي معرفة أياً كانت رياضية أو علمية أو أخلاقية لا قيمة لها ما لم تكن تهدف في أخر الأمر إلى تحقيق الخير أو ما لم ينظر إليها من خلال ضوء فكرة الخير ومدى قربها أو ابتعادها عنه، لأن الخير هو المعيار المطلق الذي تقوم به المعرفة كما أنه أيضاً المعيار الدقيق الذي نقيس به الوجود وكتاب "محاورة الجمهورية".

يطلق أفلاطون مفهوم الخير على الإله وهو المثال الكامل والمعقول المطلق، يقول أن صورة الخير هي الحد الأقصى الكمال العالم العقلي، إننا لا ندركها إلا بالعناء الطويل، ولكن متى أدركناها علمنا أنها العلة الأولى مثل ما هو جميل وحسن. (جحيدر-1990-ص100) ، وماهيتها إن للخير الأعلى أساس العلم والحقيقة ، ومع أن صورة كل من المعرفة والحقيقة جميلة جداً ، فمن الصواب أن نقول : صورة الخير الأعلى تمتاز عنهما وتفوقهما جمالاً.(النشار-ص60) ، ومفهوم الخير عند أفلاطون لا يتعدد فهو بسيط غير مركب ، مركب وهو يحتوي على جميع الصفات ، وهو كامل لا يتغير ، قديم أزلي مفارق للزمان والخير الأعلى ليس معقولا فحسب ، بل هو معشوق بقول أفلاطون في محاوره المأدبة إن الذي يجعل للحياة قيمة هو تأمل الجمال الأبدي ما أحسن مصير الإنسان الذي يستطيع أن يتأمل الجمال الإلهي في باطنه وصفاته إن هذا الجمال الإلهي هو الخير المطلق وجملة القول إن لأفلاطون أراء مختلفة حول مفهوم الخير مما جعله قمة للمذهب الأخلاقي والميتافيزيقي في آن واحد ، غير أن ماهية الأخلاق المطلقة تظهر لدى أفلاطون من حين إلى آخر ، ففي محاورة

الجمهورية يقسم الأشياء الخيرة إلى ثلاثة : أشياء تطلب لذاتها بعض النظر عن نتائجها ، وأشياء تطلب لذاتها ونتائجها معاً ، وأشياء تطلب لنتائجها فقط . يفضل أفلاطون في هذا التقسيم المفهوم الأول وهو الأشياء التي تطلب لذاتها بغض النظر عن النتائج عند تقوم أي فعل أخلاقي ما أنه وحد بين الرمز الأعلى للتقييم الألوهية ومبدأ اسمى للكون، وأن الصفة الوحيدة للألوهية هي الخير، كما يقول: ' هناك نوعان من الخير، خير طبيعي أو مادي وخير روحاني ، والأخير يفوق الأول ، ومن الخيرات الطبيعية الأولى الصحة والثانية الجمال والثالثة القوة والرابعة الثروة ، أما الحكمة فهي قيمة درجات الخير. (النشار - 1966-ص60) وهكذا نجد أنفسنا أمام عدة مفاهيم للخير عند أفلاطون، وقد أختلف الباحثون في تحديد ماهية الخير عنده، فيجد بعضهم يأخذ أوصاف أفلاطون للخير كما هي أو بمعنى الظاهري، وآخرون يحاولون أن يضيفوا إليها صفة أقرب إلى ذهن الإنسان، ويرون فيها تعبيراً رمزياً ، أي : أنهم يحاولون أن يضفوا شيئاً من التأويل على النصوص سعياً للحصول على معان تتفق وتوجهاتهم الفكرية في فهم أفلاطون ، ولكن من الممكن أن تفهم حديث أفلاطون عن الخير المطلق الذي يسعى إليه الإنسان في هذا العالم على أنه تأكيد لموضوعية الخير وعلوه على المقاييس الفردية، فهو يؤكد على عجز المرء في فهم طبيعة الفضائل مالم يعرف الخير وأن علاقة الفضائل بالخير الذي يضفي عليها قيمتها ويجعلها فضائلا بالمعنى الصحيح ، وقد يكون من الممكن أيضاً أن تفهم الخير من عدة أوجه مثلا : خير يطلب لنتائجه فقط ، خير يطلب، وخير يطلب لنتاجه ولذاته، وخير يطلب لذاته فقط ، بغض النظر عن النتائج ، ثم الخير المطلق وهو الله. (النشار1966-ص10)

مفهوم الخير عند المدرسة الأبيقورية : ترفض المدرسة مبدأ العناية الإلهية للكون فالعلم ملئ بالشرور ونصيب الخير فيه ضئيل جداً وترى هذه المدرس أن اللذة هي الخير الإسمي والألم هو الشر الأقصى وليست الفضيلة قيمة في ذاتها فقيمتها تستمد من اللذات التي تقترن بها وبالتالي فكل لذة خير ما لم تقترن بألم وان اي الم نجمت عنه لذة وجب طلبه نلاحظ هنا جذور المذهب النفعي " وتذهب المدرسة الأبيقورية إلى جذور تسخير العقل لتهيئة الوسائل المؤدية إلى اللذة في الوقت الذي يجب أن يحرص الإنسان على ألا تستعيذه رغبة شخصية أو لذة فردية وأن يتخلى عن أي لذة تؤدي إلى ألم يكبرها.

اما المدرسة الابيقورية تفاضل بين اللذات كما تفاضل بين الألم الحقيقة في اعتقاد هذه المدرسة هي ان تخلو من كل الانفعالات. (مطر-1965-ص50-52)

مفهوم الخير عند الفلاسفة المسلمين أثر الصراع الفكري والثقافي الذي اشتد بين الفرق الإسلامية في مجموعة من القضايا الفلسفية وظهور حركة الترجمة في القرن الثاني الهجري حيث اطلع مفكرو الإسلام على ما أبدعه العقل في الحضارات القديمة على وجه الخصوص الفلسفة اليونانية أو خاصة ما نتج عن حركات الصراعات الفكرية المذهبية في القرن الأول الهجري.

مفهوم الخير عند ابن سينا " توفي 428 هـ - 1037م " :ينطلق ابن سينا في مفهوم الخير من مفهومه للعناية الإلهية فيقول " العناية هي إحاطة علم الأول بالكل وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن نظام " ويعتقد ابن سينا أن الخير يستمد من المبدع الأول وهو خير مطلق على العالم فكان كل الموجودات نسيج في البحر من الخير كل منها ينال ما هو جدير به وهو موافق له ويرى ابن سينا أن هذا العالم الذي نحن فيه يقتضى وجود الخير مع الشر وهو عالم الكون أو الفساد وعالم القوة والفعل ويقول أيضا إن الخير من طبيعته الوجود والشر من طبيعته العدم.

مفهـــــوم الخير عند أبو حامد الغزالي ولد 450 هـــ - 1059م - توفي 501 هـ 1110 م:

يقول الغزالي في مفهومه للخير في كتابة (المستصفى في الأصول) هناك اصطلاحات ثلاثة مختلفة في أخلاق نمط الحس والقيم الأول إن الأفعال تتسم إلى ما يوافق غرض الفاعل وإلى ما يخالفه فالموافق يسمى حسناً والمخالف يسمى قبيحاً والثاني الحسن ما حسنه الشرع بالثناء على فاعله والثالث الحسن ما لفاعله أن يفعله فيكون المباح حسناً مع المأموت ونلاحظ أن الغزالي يستعمل لفظي "الحسن والقبيح بدل من الخير والشر وأن موقفه من مفهوم الخير يخالف المعتزلة فهو يؤكد أن الفعل لا يكون حسناً لذاته ولا قبيحاً لذاته ويذهب الغزالي إلى أن الفعل الحسن يقدم عليه الإنسان لأمرين أما اللذين بالشرائع والأغراض فالأمر الأول الذين ينظر ثواباً وشكرا من الله على ذلك والأمر الثاني فهو مجموعة الأغراض قد لا ندركها من الوهلة الأولى والقاعدة الأخلاقية عند الغزالي هي أن الخير خير لأنه نافع والشر شر لأنه ضار.

المبحث الثالث ـ معنى قيمة الجمال:

نشـــــأة الجمال: يرى الباحثون الجمال في الشفاه الغليظة والوشم الأزرق، وكان الإغريق يرون الجمال في الشباب المقترن بالهدوء والتناسق، وسيطر عليهم مفهوم الانسجام كمثل أعلى للجمال، وكان الرومان يرون في الضخامة والنظام والروعة والبأس، وفي عصر النهضة كانت الألوان سر الجمال، وعند" بودلير" وأشياعه كان

الجمال انغماسا في المحسوسات، وأشياع التعبير منها.(الديري - 1978-ص14-15)، وصار الناس اليوم يتحدثون عن الجمال في الموسيقى أو الرقص في المتع العارفة التي يفصحون عنها بالتمرد والقلاقل وعدم الوضوح وعدم الاكتمال، ويجرى استخدام الجماليات اليوم في الصناعات التجميلية للتعبير عن صناعات، التجميل وأدواته ووسائله ويطلق أسم الجمالين على الأشخاص القائمين بهذا العمل والمستغلين بأساليب التجميل والزينة الصناعية، وفي اللغات الأوربية يجري استخدام كلمة السيدات الجماليات على العاملات المتخصصات في التزين بكل الدهون والأصباغ ووسائل المكياج الحديثة (الديري-ص16-17)، وقد بدأت هذه القصة الطويلة التي أستغرقها الإحساس بالجمال عند اليونان بشكل واضح في إحساسهم بضرورة فرض النظام المتناسق والتآلف في الاضطراب والتوزع وإقرار التشكيل المتسق في الصخور والأحجار . واعتاد الطبيعيون الأولـــون من فلاسفة الإغريق أن يفسروا كل الظواهر بالعناصر الطبيعية وأن يشرحوا كل الموجودات بما يتخللها ومن أسرار العدد .... ولذلك مالوا تعريف الجمال بعبارات تسودها ألفاظ الكم والكيف وإشارات تدل على المكان، فالموسيقى انتظام الأصوات والجمال وانتظام في نسب التشكيل والتجسيم. والإنسان فعلا مقياس لكل شيء في حياة اليونان وعلى نمطه ، وأما " أفلاطون " فقد أوقف جهوده على التصدي لانحلال أخلاق بني وطنه وأشتغل بالمسائل الأخلاقية فجعل الخير شرطاً من شروط الجمال وجعل الفن جزاء من علم الأخلاق، ومهمة الفن في جمهورية " أفلاطون " مهمة تربوية ويجرى استخدام الموسيقى لترفيه أحاسيس الشباب. (الديري-1978-ص18) ، وعند " أرسطو" يتضح أن الجمال هو التناسب والتماثل والترتيب العضوي للأجزاء في كل ما هو مترابط من الأشكال، و" أرسطو " هو صاحب نظرية النقد والجمال المشهودة في كتابة البويطيقا الذي احتوى على أساس النظرية البلاغية وأصول الاعمال الشعرية .....إما عند " كانت " و" شو بنهاوز" نغمة جديدة ، فالجمال صفة للشيء الذي يبعث اللذة في أنفاساً بصرف النظر عن منفعته أو فائدة ، وهو الذي يحرك فينا ضربا غير أرادي من التأمل ويشيع لونا من السعادة الخالصة، ويكمن سر الجمال كما يقول " شو بنهاوز" في هذا الإحساس الموضوعي البريء من الهوى ، وفيه تكمن أيضا العبقرية الفنية ، ويتحرر العقل بعض الوقت من الرغبة فيحقق تلك الصور الخالدة أو المثل الأفلاطونية التي تكون المظاهر الخارجية للإرادة الكلية.

أما عند " هيجل " نعود أو نرتد مرة أخرى إلى الإغريق ، فالجمال وحدة في تنوع

وانتصار الصورة على المادة والمظهر المحسوس لمثال ميتافيزيقي ، فلا غرابة في أن تقترن الصعوبة دائماً بالكتابة عن الفنون بوصفها أعقد الموضوعات التي يتناولها المفكرون. (الديري-1978-ص23)

يمكن القول إن تتحقق للنفس عملية التأمل على وجها الأمثل وأن يتحقق لها الخلاص المؤقت من الزمنية الرغبة. فالخلاص إذن بالفنون تتخلص مهمة الفن على الوجه في التحرير من العبودية ... عبودية الرغبة وقيود الإرادة عن طريق التأمل الجمال، وسواء أن كان الجمال متعلقاً بعمل من أعمال الفن أو بمشاهدة من مشاهد الطبيعية فأنه يكفي أن يشير موضوع التأمل إلى دلالة أو إلى معنى مميز من الأشكال الطبيعية حتى يثير الإحساس، فالجمال يؤدي إلى تمام الشعور بما هو جميل.

فالجمال عنده على هذا الأساس هو الشكل الدال أو هو المثال المعطي إلى الإدراك الحسي في حدود الواقع ولذلك استطاع " شو بنهاوز" تعريف العمل الفني بأنه تعبير الفنان عن مدى فهمه وإدراكه للمثال.

معنى الجمـــال: يقصـــد بعض الباحثين بعلم الجمال " فلســـفة الوجدان"؛ لأنه يتناول دراسة الذوق الجمالي سيكولوجياً وتاريخياً واجتماعيا وميتافيزيقيا، وبعضهم يقصد به " علم جميل وفلسفة الفنــون الجميلة وهو يتناول أحكام الجمال التي تعبر عن اللذة والألم ويتناول بالدراسة الفن وآثاره، وبهذا تصبح غايته وضع المعايير التي تميز بين الجمال والقبح ورسم القواعد التي يتحقق بمقتضاها الجمال في الآثار الفنية.

قيمـــة الجمال: تعتبر قيمة الجمال هي إحدى القيم العليا التي يسعى إليها بنو الإنسان وذلك لأن الإحساس بالجمال وإدراك القيم الجمالية في الموجودات يكاد يكون العنصر الراقي الذي يميز الإنسان عن الحيوان. والمتأمل في الديانات القديمة يجد أنها أفرزت للجمال ألهاً تعبده وحتى الديانات السماوية وصفت لنا الله بأنه الجميل يحب الجمال، وقد خلق الإنسان على صورته جميلاً يحب الجمال حتى لقب الإنسان والجنس البشري كله بأنه جنس يعبد الجمال ويعشق كل ما هو جميل.

والواقـــع أنه لو خلف الطبيعة من الأشياء الجميلة لفقدت الحياة سحرها بالنسبة لبني الإنسان ولما أصبح لها طعم ولما كان هناك دافع للبقاء.

ويعتبر الجمال سرا من أسرار الطبيعة يحسه الإنسان في الأشياء الجميلة دون أن يعرف لماذا أو كيف كانت جميلة، وذلك أن الجمال سرعان ما تبدد وتلاشى بمجرد أن نحاول تحليله وتفسيره، فنحن نحس بالجمال ولكننا لا نفهمه، وبالرغم من ذلك كانت هناك محاولات يفسرها البعض ما هو جميل للغاية.

هناك صفات خاصة إذا توافرت في الشيء يمكن اعتباره جميلاً، ومن تلك الصفات، التوافق، الانسجام، الوحدة، التوازن، الإيقاع، تباين الشيء الجميل يكون متميز متفوقاً على غيره في صفة من صفات الجمال يربط البعض بين الجمال وبين الحب أو الجنس، فالجاذبية الجنسية هي أصل الجمال أو يكفي أن يكون الفن كالشعر والموسيقا وليد الحب والخيالات الغرامية، ويربط البعض بين الجمال وبين اللذة فالإحساس بالغه فيها نرى أو نسمع بتميز الأشياء بالصفات الجمالية.

ويرى أفلاطون أن الأشياء الجميلية في العالم الواقع إنما استمدت جمالها من " مثال الجمال " أو الجمال المطلق الذي لا يتطرق إليه قبح، وقد حدد أفلاطون متثبت الجمال من الجمال الحسي على الجمال الخلقي إلى الجمال العقلي ثم إلى الجمال الإلهي وهذا ما يعرف بالسلم الأفلاطوني الصاعد في الجمال. (العرسي- 1981-ص120-122)

اهتم علماء الجمال أخيراً بالخبرة الجمالية التي تتأمل وتكتشف ثم تربط علاقات جديدة غير الموجودة أصلاً في الشيء الذي تقول عنه أنه جميل أو بناء على هذه الخبرة يكتشف ما كشفت للجمال بما يمتلك العبقرية الفنية ما في الأشياء من جمال بصورة تختلف عما ندرك به نحن الأشياء المحيطة بناء ذلك فإن العبقرية الفنية لديها إمكانيات تستطيع به أن تضيف للجمال قيمته الجمالية للفن. (الديري-1978-ص220-229)

التطور التاريخي لعلم الجمال ومدارسه: افتتن الناس بالجمال من قديم الزمان أبدعوا الآثار الجميلة قبل أن يفلسفوا موضوعها، ثم عرضوا للبحث فيها بالنظر العقلي ومناهجه فكانت " فلسفة الجمال" ثم اصطنعوا المناهج التجريبية في دراستها فكان "علم الجمال التجريبي" الذي انصرف عن دراسة الجمال كما ينبغي أن يكون إلى البحث الواقعي فيه كما هو كائن بالفعل "

في العصور القديمة: خلط الفلاسفة اليونان بين فلسفة الجمال وعلم الأخلاق والميتافيزيقيا، ومع ذلك يرجع لهم الفضل في محاولة فهم أو معرفة حقيقة الجمال وشروطه وقوانينه فقد اهتم " أفلاطون " بالجمال الناجمين عن الوجداني، "وأرسطو " اهتم بوضع نظرية في طبيعة الفن، والرواقيون اعتبروا الجمال وحدة الكمال في عرف الأخلاق.

في العصور الوسطى: يثير الشعور بالجمال إلى أن مهمته لا تتجاوز تشريح البيئة الطبيعية ووصف ما فيها، ويعتمد " اميل زولا " 1902 ف الذي يمثل هذا المذهب أن مهمة الفنان لا تتجاوز تسجيل ما يقع في الطبيعة وتفسيره، لذا ينبغي أن يكون الفن

نسخة دقيقة من الطبيعة ولا يبلغ الفنان هذه الغاية إلا بدراسة تحليلية للخلق وبواعث السلوك، كما أن الفن يجب أن يلتمس فهم الأشياء دون أن يتجاوز هذا الفهم إلى المدح والثني والقدح والدم.

مدارس علم الجمال: كانت طبيعة الجمال مثال للخلاف بين الباحثين مما أدى إلى وضع عدة تفسيرات بكل تلك الخلاف والتي ثملت في التغيرات التي ظهرت في بعض المدارس الجمالية وهي كالآتي:

1-المدرسة الموضعية: ترى هذه المدرسة أن جمال الصفات وخصائصه عينية موضوعية مستقلة عن العقل الذي يدركه ولهذا في إدراكه والاستماع به جميع الناس في كل زمان ومكان - فالشيء الجميل يقوم بالقياس إلى ما فيه من خصائص تشير الإعجاب بجماله من التناسق والانسجام والتوازن والوحدة... إلخ. فالجمال صفة موجودة أو حالة في الشيء الجميل تلزمه وتقوم في عقل حتى لو لم يوجد عقل يدركها، ومن فلاسفة هذه المدرسة " أفلاطون " قديماً.

2- المدرســـــة القديمة: ترى هذه المدرسة أن الجمال معنى عقلي وليس صفة عينية تقوم في الشيء الجميل مستقلة عن كل إدراك، يدير تصور الجمال بتفسيره من عصر إلى آخر وقد يختلفوا الأفراد في المكان الواحد والبيئة الواحدة وخير دليل على ذلك " اختلاف الناس لتذوقهم للقطع الموسيقية والقصائد الشعرية واللوحات الفنية باختلاف ثقافتهم وبأنواع تربيتهم...إلخ. هو اشتراك في الانفعال، فالفنان إذا تعهد مشاركة غيره في عواطفه فقد أحسن نفسه بهذا الفن، فإذا كانت العاطفة حية وصدرت عن اتجاه في الحياة غض النظر أتجاه فن عظيم، أما الفن الذي يهدف إلى الجمال وهو ينشد في الواقع أثر اللذة فليس بفن على الإطلاق.

إن الجمال هو الأثر الفني بما يقوم به القياس، لأن الجمال ليس شيء موضوعي حالا في أثار الفن ومشاهدة، ولكنه مرهون بتأثير الذي يحدث في النفوس ويتحلون بأثره، ومن ثم يكون الجمال شيء نسبيا يتوقف على شخصية الفرد ومستوى حضرته من الثقافة الفنية بوجه خاص.

اتجاهات ومعايير فلسفة الجمال:

1- الاتجاه الموضوعـــــــي: يرى أصحاب هذا الاتجاه بأن الجمال قيمة تتعلق بالأشياء والظواهر الواقعية الحسية الخارجية، فالأشياء الطبيعة والفنية تحتوي في ذاته على عناصر وخصائص تكسبها للجمال، وعن طريق ما يمتلكه الشيء عن المعوقات الذاتية يبدو لنا جميلاً أو قبيحاً فالأشياء تحتوي على الترتيب والتركيب الذي يمنحه

المظهر الجذاب والذي يرضي النفوس، وبالتالي يضفي عليها نوعاً من القيمة الجمالية.
وبذلك يعتبر الشيء جميلاً بالنسبة للتأمل وبغض النظر عن اختلاف الزمان والمكان ، فالجمال في الشيء خاصية تلازمه أينما وجد، وبدونه لن يتحقق الجمال في الشيء وبذلك يختلف الجميل عن القبيح، فالجمال إذن ذو طبيعية موضوعية يمكن اختياره واكتشافه بواسطة الدراسة الموضوعية دون أن يكون اللذات والانطباعات الشخصية أي أثر في ذلك، وقد تمثل هذا الاتجاه لدى أنصار المذهب الطبيعي في علم الجمال، "أميل زولا " بأن المذهب الطبيعي منهج مطبق على الآداب، وأن مهمة الفنان يسجل ما يقع في الطبيعة ويفسره، أو ينبغي أن يكون الفن نسخة دقيقة من الطبيعة، وقد أستهدف أصحاب النظر الموضوعية على هذا الرأي باتفاق عدد من الأفراد حول الجميل رغم اختلاف ثقافتهم الفكرية ، فالعمل الفني في النحت مثلاً والرسم يكون مقبولا ومثيراً للإعجاب لدى أكثر من الناس باختلاف المجتمعات والعصور ، ولقد صور فلاسفة الإغريق بصفة عامة للفن بأنه محاكاة لمجالات العامة في الحياة والطبيعة. وقد استخدم " أرسطو " عبارة المحاكاة التي استعمالها أفلاطون لوقف ما يقوم به الفن أو علم الجمال إلا أن المعنى قد يكون متطوراً بدرجة معينة، حيث أصبح لا يعني تقليد الأشياء الطبيعية وخاصة فيما يتعلق بالموسيقي التي هي ما يكون عن المحاكاة، فالرسم يمكن أن يحاكي شيئاً ما في الطبيعة قد يكون الشجرة أو النهر أو السماء، في حين لا تنتج الموسيقى إلا ما هو غير موجود في الطبيعة، أن ما يقصده" أرسطو "بالمحاكاة ليس هو الموضوع الحسي الجزئي، إنما ذلك النموذج الذي يبرز نفسه في الجزئي ، فالفن يهتم بالطبيعة في صورته المثالية، بذلك فإن الفنان يهتم بتقرير ذلك الجزء والفرد وإنما يجسد النوع الكلي الذي يراه ما تلافي كل الأجزاء، وإذا كان الإنسان العام لا يمتلك تلك الحس الجمالي أو الفني لا يتجاوز في نظرته ذلك الجزء فإن الفنان يرمز إلى مستوى الكلي المشترك، الفن نسخة للحقيقة الموضوعية الكلية (الديري -1978-ص240-247

1- **الاتجاه الواقعـــي:** عــن " تشير نيشفسكي " قد يقترب من ذلك الاتجاه المادي الذي ظهر عن فلاسفة الإغريق القدامى الذي يؤكد على نسخ الواقع المادي للطبيعة كأساس للجمـــال والفن، إلا أن " تشير نيشفسكي " بتميز التقليد والصياغة الذاتية للواقع ، فالفن عنده لا يعمل على ايجاد الواقع الحسي والمادي فحسب ؛ بل يعمل على إيضاحه وتفســـيره وإصدار الأحكام عليه ، وعندما يحاول الفنان رســم أو نحت صورة طبيعية فإنه يجسد تلك الموضوعية الواقعية في لوحة فنية كما يراها ويحسها ،

فالطبيعة بالنسبة للفنان معد روحي وإلهام بما اكتشاف القيمة الجمالية والاحكام الفنية، ومن أهم واجبات الفنان " الكشف في الطبيعة عن الجوانب الجميلة والجيدة للنفس الإنسانية ". (راشد -1985-ص157)، فاللوحة الزينية عن الريف هي انعكاس للطبيعة الواقعية، وكذلك عرض مسرحية تتطابق أحداثها مع الحياة الواقعية للإنسان، وإن الفكر المادي يعطي الأولوية للواقع المرفوع ، وهنا يقول أحد النقاد "تشير نيشفسكي" يقف في مسألة الوضع الأساس المادي للعلم الجمال موقف مناهضا يتعارض مع مفهوم هيجل وتلاميذه ، ومما تجدر الإشارة إليـــه أن " تشير نيشفسكي " يضع العلم والفن في مستوى واحد بعيداً عن نظرية الانعكاس للواقع ، وبما أنه كان أحد أنصار المادية فان الواقـــع الموضعي يحتل عنده المقام الاول.(راشد-1985ص104)

وأخـــيرا يؤكد " تشير نيشفسكي " على أن الوظيفة الأساسية للفن بشكل عام يتمثل في إعادة إنتاج كل ما يشير اهتمام الإنسان بالحياة للاتجاه الذاتي.

يعبر هذا الاتجاه في علم الجمال عن تلك المواقف الجمالية والفنية التي نجدها لدى الأفراد التي تعود في أساسها إلى المشاعر الذاتية والانفعالات الشخصية، فالفن الجمالي تجربة أو خبره ذاتية تتصل انفعالات الشخصية، فالفن الجمالي تجربة أو خبره ذاتية تتصل بالفرد وحده أن يكون خاضعا للشروط الموضوعية والخارجية، إنه مجرد إحساس باطني قد يتمثل الفرد ويعبر عنه بطريقته الخاصة، هذا الانفعال الذاتي الوجداني يتم بطريقة مباشرة وبصورة تلقائية دون الالتزام بأي مقومات وعناصر تتعلق بشيء جميل وبذلك تختلف الموقف الفني والأحكام الجمالية من الفرد إلى أخر حتى داخل البيئة الواحدة ، ورغم هذه الذاتية الخاصة فإن الفرد يعمل من خلال الأعمال الفنية المختلفة على توضيح ما يدور في داخله من احساسات وعواطف فنية فالفنان كما يقول "تولستوى" لا يفعل أكثر من وصف مشاعره وكشف وإظهار ونقل مكونات نفسية وأحاسيس الذاتية المكشفة المليئة بالحب والأمل، بالغضب والخوف ويشارك الفنانين الأخرين بخلق شيء ما يشعرهم بالبهجة، الحزن، والفرح، الخوف. فالعمل الفني هو العمل الذي ينجح في نقل الخبرة والتجربة الذاتية إلى الأخرين، اما العنصر الثالث في العمل الفني الناجح فإنه يتعلق بالناحية الأخلاقية، فقد يكون العمل الفني صادقا ومتواصلا إلا أنه غير مرغوب أو غير مقبول وهذا يعني أن العمل قد يكون فنا ولكنه فن ردي أخلاقيا، بذلك يشير " تولستوى " إلى ضرورة مساندته للأعضاء المجتمع بالفن والانسجام معه في التأكيد على ذلك الفن الذي يرى فيه إلى

المستوى الأخلاقي المطلوب، على هذا الأساس يكون الفن الجيد مسألة أخلاقية .

3.الاتجاه الوصفـــي: الذي يتناول تحليل الإحساس أو الوجداني الجمالي مثلاً في عدد من التجارب الجمالية أمام الأعمال مع استحضار للظروف النفسية و الاجتماعية والتقويمية بهذا الوجدان وقت مواجهة الإحساس بالشيء الجميل إلى جانب علم الجمال الذي يوجد العام أو النظري ويطلق هذا الاسم على مجموعة الملامح المحددة والمشترك التي نلقاها وتواجهنا عندما ندرك كل الأشياء التي من شأنها إثارة الانفعال .

4.الاتجاه الديني والأخلاقي والسياسي : يمكن القول مع الأستاذ " زيجون " في كتابة المشهور عن علم الجمال بأن الحس الديني الفائض والمعين يمكن اعتباره شيئاً واحداً في روح الفنان مع الحاجة المطلقة إلى الانسجام الخطوات والأصوات، فيما يصبحان شيئاً واحداً في قلبه ووجدانه ويجتمعان في روحه إلى التألق والانسجام وكما يسعي علم الجمال لتحقيق الجمال الأخلاقي لتحقيق الخير وتسعى السياسة لتحقيق الصالح العام والسعادة للجموع ، ونسأل أنفسنا ماذا كان يصبح سقراط و" أرسطو " جوته وهيجل والعقاد يغير الجانب الفني في كل منهم ؟ وذلك لأن الصفات يسبقها الفن على معرفة العليا تتعلق بمعرفه من آخر كما بحث في المعارف الصماء وربطها بالجماعيات والأحاسيس الوجدانية وخلق الانسجام والتناسق في جوانبها وإعتاد كثير من الفلاسفة التي تشير إلى أن الفنون الرديئة من شأنها أن تشير الاضطراب في نظام حياً للأخلاقية والدنيوية، ولذلك حارب " أفلاطون" الفنون الرديئة واتهمها بأبشع الاتهامات.

وكان " أفلاطون " يقدس الآلهة على الشعراء ومؤلفي المسرحيات بعض الأوصاف التي لقوها بالآلهة في أعمالهم ولا يلبت القارئ الذي يعرف كيف يكبد إلهه بعضهم لبعض وكيف يشهرون الحرب ضد بعضهم ويخطفون النساء ويصوعون الضحايا، لا يلبت هذا القارئ أن يشـــعر بعض الاحترام نحو هؤلاء الآلهة ولا يلتزم بالتالي بالسلوك الأخلاقي في تصرفاته الخاصة أسوة به، ولو نشأت هذه وأعمال الانتقام بين الحكم الدين يسود الدول لإثارة النقمة في نفوس الناس بما قدرهم يقلل من شأنهم وأرسطو هو صاحب النظرية.

معايير فلســـفة الجمـــال: لعلّ أبرز الموضوعات التي أهتم بها علم الجمال كفرع مستقل عن بقية العلوم هو مسألة المعيار الذي يحدد الشيء الجميل سواء تمثيل ذلك في الشكل أو الفكرة أو الموضوع أو في الشيء الحسي أو المعنوي المثالي، وقد حاول الباحثون تحديد معيار الجمال فجاءت أبحاثهم متضمنة معايير متعددة تختلف باختلاف

المدارس والمذاهب الفنية والفلسفية، فبرز المعيار الواقعي الطبيعي والمعيار الحدسي، ومعيار اللذة والاستماع وغيرها. (التلوع -1993-ص250-253)

وفيما يلي كلمة موجزة عن بعض هذه المعايير الفنية:-

المعيار الواقعـــــي: يمثل هذا الاتجاه في فلسفة " فيورباخ " المادية التي انطلقت من فكرة أن البحث الفلسفي ينبغي أن يجعل الطبيعة والوجود ككل بموضوعاته، أن بداية الفلسفة ليست الله ولا المطلق من حيث هو محمول المطلق أو الفكرة، بل إن البداية هي المحدود المحدد الواقعي، أنه من المستحيل التفكير في اللا محدود بدون المحدود وفي المتناهي بدون المتناهي.

المعيار الحدســـي: يبرز هذا المعيار عند " كرتوشه " الذي يرى في الجمال حدسا مجردا ومنزها عن كل علاقة مادياً أو واقعية، فالجمال تجربة باطنية يمر بها الفرد حينما يتأمل شيئاً معيناً بغض النظر عن إصدار، أي : حكم قد يتعلق بالقيم الأخلاقية ، وأنه كما يقول " كروته " مجرد صورة تخطر للفكر، وبذلك فهو يربط بين الفن والحدس والتعبير.

المعيار اللـــذة أو المنفعة: يرى بعض المفكرين أن هناك علاقة وطيدة بين الجمال واللذة أو المنفعة، فالجميل لابد أن يكون ممتعاً أو لذيذا أو نافعاً، ولقد صور لنا " كانت " في فلسفته الفنية مفهوم الجمال في إطار اللذة والاستمتاع، وعلى الرغم من أن تصور " كانت" للجميل موضوعياً مستقلاً عن كل غرض أو هدف مادي إلا أنه ربط الجمال بالرضى والارتياح الذاتي. (التلوع -1993-ص254)

الخاتمـــة:

من خلال ما تم تناوله في صفحات البحث السابقة فقد تم الوقوف على عدة نتائج للأفكار والقضايا التي خاض فيها الفلاسفة وهي:

ـ اهتديت إلى نتيجة أساسية وهي إقامة فلســفة لإزالة الغموض والنقص الذي ألحقته بها بعض التيارات لذاتها وهي غاية في ذاتها وليست وسيلة لقيمة أعلى منها وهي قيم مطلقة لا يحدها زمان ولا مكان وهي ثابتة، و- أيضاً - هي وسائل لتحقيق قيم أعلى منها وهي قيم نسبية متغيرة في الزمان وفي المكان، فالقيم هي الطاقة الحيوية والقوة الفاعلة التي تؤلف عنصر التفاعل بين الكائن الحي وبيئته فالقيم تعطي معنى اجتماعي

ـ إن القيم تعد ركنا أساسياً في حياة الإنسان.

ـ إن قيمة الدراسة التجريبية تكمن في الدور الذي تلعبه هذه القيم في تخليص الفكر الإنساني من تلك الآراء والتصورات العقلية المجردة التي تجاوزت الواقع الحسي إلى

عالم حقيقي يعيشه الإنسان.

ـ إن القيم يتمثل في إدراك العلاقة بين الأفكار سواء كانت فيها توافق أو اختلاف.

المصادر وبالمراجع:

1- أميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، ط1 ، 1965.
2-ابوبكر إبراهيم التلوع، مدخل إلي علم التفسير، مطبعة قاريونس، 1990 .
3-الطاهر الطويل، الفلســـــفة الخلقية، منشاة المعارف، القاهرة، 1960 .
4- توفيق الطويل، اسس الفلسفة، ط11، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، 1990.
5-حمادة مفتاح الغزالي، مبادئ علم التفسير والأخلاق، موسوعة ناصر للثقافة، بيروت، 1981 .
6- عدنان راشد، دراسات في علم الجمال، دار النهضة العربية، لبنان بيروت-1985.
7- علي سامي النشار، المنطق الصوري، دار العارف، الاسكندرية -1966.
8- علي عبد المعطي، الفلسفة الحديثة، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 2002
9-عبد الفتاح الديري، فلسفة الجمال، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ نشر.
10-محمد منصور، موسوعة أعلام الفلسفة، دار اسامة للنشر، ط1 ، 2001 .
11- مهدي أحمد جحيدر، القيم الأخلاقية بين الفكر اليوناني والإسلامي، مؤسسة فيينوس العالمية للنشر، 1990.
12- حمادة العرسي-في المنطق-الاخلاق والجمال-مدير مكتب اعداد المعلمين-طراب